أساليب العقاب

تعد «داعش» هي طور جديد من الإرهابيين، أدمنوا شرب الدماء ونسوا الدين أو ألقوه بلا أي انشغال أو تحسب تحت أحذيتهم الثقيلة وهم زاحفون إلى مراعي القتل. فسابقوهم كانوا على الأقل يتوقفون ليقيسوا ما هم مقدمون عليه من قتل وتدمير وترويع وفق تأويلات فاسدة للنصوص الدينية يسمونها «أدلة شرعية»، لكن جاءنا من لا يتوقف عن أي شيء، دين أو أخلاق أو ضمير.

فما إن يقع أحد من مناوئي ما تسمى الدولة الإسلامية في بلاد العراق والشام «داعش» في يد مقاتليها حتى تزهق روحه بجز العنق أو برصاصتين في سويداء القلب والرأس أو السحل حتى الموت، تتعدد الطرق والقتل واحد، وذلك دون أن تتروى لتعرف ما إذا كان المقتول بريئا أم جانيا، يحمل السلاح ضدهم أم لا يسمع عنهم أصلا. ومع القتل تهجير وترويع وحصار وفرض قواعد اجتماعية متخلفة بائدة.

لا تحتفظ داعش وكل من يحذو حذوها من الجماعات الإرهابية والتكفيرية بأسراها على قيد الحياة، لمبادلتهم في أي

وقت من الأوقات، ولا تتعامل معهم وفق ما تفرضة الشريعة الإسلامية ولا أخلاقيات الحروب المتعارف عليها، ومع تكفيرها لكل سكان المناطق التي تغزوها بدعوى أنهم موالين لحكومات غير إسلامية تستبيح دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

في السابق كان الإرهابيون المنتمون إلى مختلف «التنظيمات الجهادية» يعقدون جلسات مطولة لإصدار فتاوى تبيح لهم سفك دم هذا، ونهب مال هذا، وتخريب بيت ذلك، حتى أنهم استغرقوا سنوات كي يحسموا ما يسمى بـ «التترس» أي إمكانية قتل مدنيين إبرياء في عملية تستهدف مسئول في الحكومة أو ضابط شرطة في إطار الصراع الدموي على السلطة، بدعوى أن هؤلاء الأبرياء «سيبعثون على نيتهم يوم القيامة».

كان هؤلاء معنيين على الأقل بإيجاد أي حجة أو ذريعة ترطب ضمائرهم، حتى لو كانت فاسدة أو واهية، أما الإرهابيون الجدد مثل داعش، ومن يلف لفها أو يعجب بمسلكها، فقد ركنوا إلى شريعة المغول، جنكيز خان وهولاكو، الذين كانت خطتهم في الحرب تقوم على عدم احترام أي أخلاق أو الوفاء بأي وعود أو الالتزام بأي تعهدات أو الحذر في القتل والتخريب، فكانوا يعاهدون الناس إن سلموا سلاحهم على أن تصان أرواحهم، وما إن يستجيبوا لهم حتى يلغوا في دمائهم، ويستحلوا نساءهم ويخربوا بيوتهم ويحرقوا كل ما لهم، حتى إنهم قتلوا رسل الملوك والقادة ليبثوا الرعب في النفوس.

بالطبع لا تتوقف داعش وأخواتها لتمعن النظر في كل آيات القتال في القرآن الكريم بعد جمعها جنبا إلى جنب وليس قراءتها فرادى أو مجتزأة، ليروا أن الحرب في الإسلام «عادلة» و«دفاعية»، كما إنهم لا يتوقفوا عند توصية أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقادة الجيش: «لا تقتلوا امرأةً، ولا صبيًّا، ولا كبيرا هَرمًا، ولا تقطعوا شجَرًا مُثمرًا، ولا تُخرِّبُن عامرًا، ولا تَعقرنَّ شاةً ولا بعيرًا إلاَّ لمأكلة، ولا تُغرقُنَّ نخلًا ولا تحرقنَّه، ولا تغلل، ولا تجُبن».

داعش ليست معنية بهذا، فهي مخلصة لشريعة المغول، ورغم أن كبيرهم يزعم أنه «خليفة المسلمين» و«أمير المؤمنين» فهو في الحقيقة ليس سوى هولاكو جديد، وكما اندحر المغول ولم يتركوا أثرا، ستذهب داعش وتفشل ريحها، وتصبح نسيا منسيا.

وربما لم يسبق تنظيم «داعش» أحد من العالمين في الإجراءات العقابية القاسية والغريبة التي يقوم بها ضد مخالفيه في أسلوب العيش، أو من يتهمهم بإتيان المنكر، أو أولئك الذين يقبض عليهم من الذين يناصبونه العداء.

وطرق العقاب عند داعش، فضلا عن عدم عدالتها، ولا خضوعها للالتزام بالشريعة الإسلامية، كما يزعم قادة التنظيم وأفراده، فهي تُستعمل، في أحيان كثيرة، لأهداف لا علاقة لها بالضبط الاجتماعي، ولا ردع الخارجين عن شرائع

التنظيم وتصوراته، إنما في إرسال رسائل الفزع والترهيب للآخرين، عبر العالم، بأن داعش تنظيم متوحش بشع لا يرحم، وأن الأفضل للجميع أن يتقي شره، وهو النمط الذي عول عليه المغول في حروبهم خلال القرون الوسطى.

ومن هذه الأساليب الهمجية ذبح الناس بالسكاكين والخناجر أو جز رقابهم بالسيوف، وإطلاق الرصاص من الخلف على مجموعات بعد أن تؤخذ أيديهم إلى قيود محكمة، أو حفر الحُفر العميقة وإلقاء الناس فيها أحياء، ثم إهالة التراب على أجسادهم، لردمهم تماما، أو إلقائهم من طوابق شاهدة، فيتردون صرعى. فعلى سبيل المثال، نفذ التنظيم حكم الإعدام ضد شابين رميا من بناية شاهقة يوم ١٧/ ١/ ٢٠١٥ في مدينة الموصل العراقية، بعد اتهامهما بالشذوذ الجنسي، وسط حشد من الجمهور.

أما الطريقة الأكثر ترويعا فهي وضع المعاقبين في قفص ثم إشعال النار في أجسادهم، مثلما جرى مع الرهينة الأردني الطيار معاذ صافي يوسف الكساسبة (٢٩ مايو ١٩٨٨ – ٣ يناير ٢٠١٥)، حيث ألبسوه لباسا برتقاليا، وحبسوه في قفص كبير قبل أن يضرم أحد قادة التنظيم النار فيه، بعد أن سُكبت على القفص مواد سائلة، جعلته يشتعل دفعة واحدة، ويهوي متفحما بين حمم اللهيب، لتتحرك بعدها جرافة تهيل التراب والحجارة على القفص، فتخمد النار، ويتحطم القفص، ولا يظهر فيه أي أثر للمحروق.

لكن القفص الحديدي هذا لم يقف عند حد إعدام الكاسبة بهذه الطريقة المروعة، بل يُستخدم في أنماط أخف من العقاب لمن يخالفون قوانين داعش داخل القرى والمدن التي يحكمها التنظيم. ويضع التنظيم من يقدر أنهم متهمون في تلك الأقفاص المنصوبة وسط الميادين، وهم مثلا من يرتدون البنطلونات الضيّقة (الجينز)، وحالقو اللحى بالشفرة، وحالقو جزء من شعر رؤوسهم، والذين يضبطون وهم يدخنون، والمتخلّفون عن صلاة الجماعة، ومن لم يغلقوا محالهم التجارية أثناء الصلاة، والذين يتشاجرون من الرجال.

ويمكن هنا أن نضرب مثلا بالشاب عمر أحمد العبد الذي تم اقتياده إلى صندوق بوسط سوق مدينة الميادين السورية في ٣ أكتوبر ٢٠١٥ وبقي فيه مصلوبا ليوم كامل قبل أن يطلق سراحه، بعد أن أن تلقى خمسين جلدة بدعوى أنه متهم بإقامة علاقة «غير شرعية» مع فتاة مسلمة عبر «غرفة الدردشة» على «الواتس آب».

وسجن التنظيم فتيات صغيرات السن داخل أقفاص معدنية مع جماجم في مدينة الرقة عقاباً لهن على مخالفة الزي الذي يفرضه على النساء بالمناطق التي تخضع لنفوذه، مع أن بعضهن لم يكن سائرات في مكان عام، فواحدة منهن مثلا، كانت تقوم بتنظيف درج بيتها، حين تم القبض عليها.

وطُبق العقاب نفسه على إناث بوضعهن في أقفاص إلى جانب المقابر، وإرغامهن على المبيت في هذا المكان المخيف ليلة كاملة، مما أصاب بعضهن باضطرابات نفسية ولوثات عقلية.

وتتراوح مدة الاعتقال داخل هذا القفص بين عدّة ساعات ويوم كامل، يقررها «شرعى التنظيم فى المدينة»، بعد أن يصدر بيانًا بتهمة وعقاب المخالف الذى يوضع داخل القفص، ثم يقوم أحد «الدواعش»، بقراءة بيان العقاب أمام الناس، ويعلقه على القفص.

وتكررت هذه الطريقة الغريبة في العقاب، وصارت ظاهرة، لفتت انتباه كثيرين، وبقدر ما أثارت الاشمئزاز والفزع، فقد أطلقت روح التهكم والسخرية، إذ أقام الشعراء العراقيون: مازن المعموري، وكاظم خنجر، وعلي ذرب، ومحمد كريم، مسرحا يحاكون على خشبته، وتحت لافتة مكتوب عليها «فن الموت»، ما يقترفه داعش من جرائم، حيث ارتدوا الأزياء البرتقالية، التي يُجبر التنظيم ضحاياه على لبسها قبل قتلهم، وأحضروا قفصا، وألقوا قصائدهم من داخله، وهم يمثلون دور الضحايا، وخلفهم أشياء تدل على الموت والخراب مثل حطام الطائرات الحربية، وآلات القتل، وبقايا التفجيرات والمقابر.

وفي قصديته قال مازن المعموري:

«أستطيع أن أتعرف على نفسي الآن

علـى صورتـي أمـام اشـتعال القفـص بعـد سـلخ جلـدي وإضافـة بعـض النكهـات الهنديـة لـه

على الشرايين التي تلوح للنار بالعناق المر

علـى فرجـة التحليـة قبل النـوم من شاشـات النـت والفيديو

فرجة التعرج بسنارة ملتهبة داخل القلب

أستطيع أن أتعرف عليك الآن».

أما الشاعر علي ذرب فقال في قصيدته:

«إنهيار

خيطُ الدخان

ينتصبُ بين يديكَ

دع دمي يفصل الحالمين

عن ضخامةِ ساقيّ

لقد مر الكثيرُ من الصوت

على أسئلةِ الرؤوس».

وفي قصيدة بعنون «ذباحون» قال الشاعر محمد كريم:

«المنـزل مُحاصـر الكـراج مُحاصَـر الشـارع مُحاصَـر التاريـخ مُحاصَـر الكنيسـة مُحاصَـرة المسـجد مُحاصَـر الجبـل مُحاصَـر

obeikan.com

الأرض مُحاصرة السيارة مُحاصرة الكافتريا مُحاصرة الفندق مُحاصر طَطَطَطَطَ....طَطَ ....طاه اسلمْ تسلم!».

وشارك الشاعر كاظم خنجر بنص من جملة واحدة تقول: «أعطوني رأسي .. أستطيع العودة به إلى المنزل».

وبلغت السخرية مداها في حفل عرس بمحافظة المنوفية (دلتا مصر) حيث دخل شاب وفتاة مصريان أثناء حفل زفافهما إلى قفص حديد أمام المدعوين بعد أن قادهما إليه مجموعة ترتدي أزياء شبيهة بأزياء «داعش» ، ليصمتا للحظة، قبل أن يواصلا الرقص بصحبة هذه المجموعة، على نشيد «صليل الصوارم». وقد انتشر فيديو حفل الزفاف هذا على مواقع التواصل الاجتماعي لينفجر المصريون ساخرين من داعش، وطرق عقابها البشعة.